

التجربة الصوفية الجزائرية نشأتها وآثارها

The Algerian Sufi Experience, its Origins and Effects

يمنية قداري

¹ — جامعة أحمد دراية، أدرار — الجزائر. yaminakeddari90@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/10 تاريخ القبول: 2024 / 11/12 تاريخ النشر: 2024 / 12/30

ملخص: تناولت هذه الدراسة حقيقة التجربة الصوفية الجزائرية، وأهم أعلامها وأدوارها الاجتماعية والدينية وتأثيراتها العالمية، وخلصت إلى أنّ البيئة الفكرية الجزائرية كانت حاضنة للتصوف الإسلامي الأصيل منذ القرن السادس هجري. وبدا جلياً أنّ التصوف الجزائري وسطي معتدل يجلّ الآخر ويحترمه، ويتعايش معه، كما أنّ خطابه انفتح على العالم بأسره ومدّ جسور التواصل مع الغير، وذلك بفضل شيوخه وما قاموا به من أداء لدور المرجعية الدينية.

كما خلصت الدراسة إلى أنّ امتلاك هؤلاء الرُموز والأعلام القدرة الفائقة في التجرد لله أهلتهم ليكونوا شيوخ تربية قادرين على توجيه الفرد، وإرشاد الخلق للحق تبارك وتعالى بناءً على تعاليم الشرع الخفيف بثلاثية خالدة؛ التخلي والتحلي والتجلي، وبناءً عليه فإنه يمكن لهذا الدفق الروحي الرّباني أن يستشرف من تعاليمه مسالك لكلّ الصّراعات الواقعة.

الكلمات المفتاحية: التجربة الصّوفيّة؛ المسالك الروحية؛ آثارها العالمية.

Abstract: The study dealt the Algerian Sufi experience, its most important flags, its social and religious roles and its global influences, and concluded that the Algerian intellectual environment has been incubating authentic Islamic mysticism since the 6th century AH and that Algerian Sufism is moderate and reveres the other, respects it, and coexists with it, and that the Algerian Sufi discourse opened the world and met with the other thanks to the performance of The sheikhs played the role of the religious authority, as I concluded that these symbols and flags had a superior ability in detachment from God, directing the individual, and delivering creation to the truth, blessed and exalted, based on the teachings of the true Sharia, with the immortal trilogy of abandonment, adornment, and transfiguration.

Keywords: Keywords: The Sufi experience; spiritual paths; its global effect with the reality of

مقدمة:

تمتلك الجزائر رصيّدًا صوفيًّا عميقًا، وثرًا إبداعيًا على مدى القرون السابقة، حيث كان لكل مدينة رمزها الروحي الذي يؤلف بين القلوب، أمثال: سيدي "أبو مدين شعيب" وسيدي "أبو الحسن الشاذلي، وسيدي محمّد علي السُنوسي، وغيرهم من الأعلام. وكما هو معلوم فإنّ أزمة الإنسان اليوم أزمة روحية تحتاج إلى حل روحي، وباعتبارنا من أهل الولاء لهذا الدين الحنيف الذي يتوفر على هذه المادة بغزارة، وجب علينا عرض هذه التجربة الصوفية على حقيقتها علنًا نجد حلولًا للمشكلات الواقعة اليوم.

فالتجربة الصوفية مدرسة روحية لها عنوانها ومنهجها وأهدافها، فهي قادرة على اقتراح حلول آمنة وجيدة اليوم، وذلك من خلال الرجوع إلى ما عاشه أسلافنا - من القرن الثالث للهجرة إلى القرن السادس - والذي يمثّل البداية التاريخية لظهور التصوف في المغرب الأوسط بعد إرهاصات دامت ثلاثة قرون شكّلت في مجملها عوامل ظهور التصوف، ولتسليط الضوء على هذه التجربة الصوفية طرحنا الإشكالية الرئيسة الآتية:

ماذا نقصد بالتجربة الصوفية الجزائرية وما هي تأثيراتها العالمية؟

واندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، أهمّها:

✓ من هم أعلام التصوف وما هي أهم الطرق الصوفية بالجزائر؟

✓ ما طبيعة الصراعات المعاصرة؟

✓ ماهي المسالك الروحية الاستشراقية؟

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الموضوع فيما يلي:

(1) الحاجة إلى معرفة الحالة الصوفية في الجزائر والتقرب من خصوصيات هذه التجربة.

(2) ضرورة إظهار الثراء الصوفي الجزائري ودوره المعرفي والإصلاحي والإشادة بالتراث الروحي الإسلامي.

(3) إبراز قدرات قيم التصوف الإسلامي السامية، واستنزائها على الواقع؛ علاجا ووقاية، واقتراحه

كمسلك أصيل وكحل كفيل لعلاج الأزمات والصراعات القائمة.

الدراسات السابقة:

توجد الكثير من الدراسات في التصوف الإسلامي وأهميته، وكذا دور الزوايا؛ السياسي والدعوي في الجزائر ومراحل. ولكن الجديد الذي سأطرحه في هذه الدراسة أنأخذ التصوف كمسلك وكسبيل للخروج من الأزمات المعاصرة مع بيان عالمية امتداد الطرق الصوفية الجزائرية.

المناهج المستعملة في الورقة البحثية:

لمعالجة إشكالية البحث اتبعنا المناهج الآتية:

- **المنهج الوصفي:** اعتمدناه لتوصيف التعريفات والمفاهيم المتعلقة بمصطلحات الدراسة.
- **المنهج التاريخي:** اعتمدناه لرصد الأحداث التاريخية، وكذلك التطور التاريخي للطرق الصوفية.
- **المنهج الاستقصائي:** للقيام بمسح شامل للآثار المترتبة عن التربية الصوفية.
- **خطة البحث:**
- اشتملت الورقة البحثية على: مقدّمة، وتمهيد، وخمسة فروع، وخاتمة. وهي على النحو الآتي:
- **مقدمة:** فيها التعريف بالموضوع وإشكاليته، وبيان أهميته، ثم الدراسات السابقة، والمنهجية المعالجة.
- **تمهيد:** فيه توضيح لما يتعلق بالبحث.
- **الفرع الأول:** مفهوم التصوف والطريقة الصوفية
- **الفرع الثاني:** أهم الطرق الصوفية بالجزائر وعوامل انتشارها
- **الفرع الثالث:** دور الصوفية في خدمة المجتمع
- **الفرع الرابع:** الصراعات الواقعية والمسالك الروحية
- **الفرع الخامس:** آثار التجربة الصوفية عالميا
- **الخاتمة:** تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

يقوم التصوف الإسلامي السني على الحب والإحسان بتزكية النفس من طغواها إلى تقواها، ومن جحودها إلى رضاها، طمعا في ثواب لا يحول، وير لا يزول. ويعتبر الطريق الصوفي في هذا

المقصد بمثابة الإنابة إلى الواحد الأحد الذي لا شريك له - سبحانه تبارك وتعالى - وتقرّب إلى الحضرة الإلهية الربّانية، والدّوحة المحمّدية المطهّرة تيمّنا وتمسّكا بأهداب كتاب الله وسنة نبيه؛ فمُهمّا وفكرًا وسلوكًا (محمد العيد التجاني، 2016، ص2).

الفرع الأول: مفهوم التّصوف والطّريقة الصّوفيّة.

أولا- حقيقة التّصوف الإسلامي:

1 - المعنى اللغوي:

تباينت آراء الباحثين في مسألة التأصيل اللغوي لكلمة تصوف، منهم من ربطها بالاشتقاقات اللغوية لكلمة تصوف ودلالاتها، ومنهم من أرجعها إلى التأثير الأجنبي للشعوب وثقافات الأمم على الحضارة الإسلامية، ونختار تعريفين:

أ) - نسبة إلى الصف الأول: ما جاء في التعريف للكلاباذي (380هـ): "وقال قوم إنما سمو صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل، بارتفاع همهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه" (الكلاباذي، (د - ت)، ص5).

ب) - التصوف من الصفاء: والمراد صفاء السرائر وفي هذا جاء قول بشر الحافي: الصوفي من صفا قلبه لله، وقيل الصوفي من صفت معاملته (الكلاباذي، (د - ت)، ص5).

2 - المعنى الاصطلاحي:

تقول العرب إذا علا شأن الشيء وارتفع قدره كثرت تسمياته، كتعدد أسماء السيف وكذا أسماء الأسد، فمن هذا القبيل كثرت تعريفات التصوف، مما جعل الشيخ زروق الفاسي البرنسي (ت 899 هـ) يعبر عن هذا التعدد في كتابه (قواعد التصوف) قائلا: "وقد حدّد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين مرجعها كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه والله أعلم" (زروق الفاسي، 2005، ص21).

وسنذكر جملة من التعاريف لرجال التّصوف ذكرها إمام الطّائفة القشيري في رسالته (عبد الكريم القشيري، 2001، ص312 - 313):

أ) - (الكتاني (ق8 هـ) التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء.

(ب) - سَمُونُ الْحَب (ت 298 هـ) التَّصَوُّفُ أَلَا تَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُكَ شَيْءٌ.

(ج) - رُؤِيم (ت 303 هـ) اسْتَرْسَلَ النَّفْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَرِيدُهُ

(د) - أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُرَيْرِي (311 هـ): التَّصَوُّفُ الدَّخُولُ فِي كُلِّ خَلْقٍ سَنِيٍّ وَالْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ

دَنِيٍّ.

(هـ) - الْجَنِيد (ت 465 هـ) هُوَ أَنْ يَمِيتَكَ الْحَقُّ عَنْكَ، وَيَحْيِيكَ بِهِ.

ثَانِيَا: مَفْهُومُ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ:

1- **تعريفها لغة:** الطَّرِيقَةُ فِي اللُّغَةِ تَعْنِي الطَّرِيقَ وَالسَّبِيلَ (ابن منظور، 2001، ص220) ، أَيْ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الْوَاضِحَ، وَالسَّبِيلَ الْمَوْصِلَ إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالْمَنْهَجَ الْمَتَّبِعَ فِي ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (سورة يوسف: الآية 108). وَقَوْلُهُ أَيْضًا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَهُمَا﴾ (سورة الأنعام: الآية 153).

2- **تعريفها اصطلاحاً:** الطَّرِيقَةُ الصُّوفِيَّةُ هِيَ "عِبَارَةٌ عَنْ رَابِطَةٍ رُوحِيَّةٍ تُضَمُّ أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ قِيَادَةِ وَاحِدَةٍ، يَسْمَعُونَ لِهَذِهِ الْقِيَادَةِ وَيَطِيعُونَهَا فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ" (آدم عبد الله الإلوري، 1979، ص79).

وهي "رابطة روحية قوية، وطاقات نفسية صلبة، تنظم أفراداً من الأتباع في سلك واحد وتحت قيادة مسموعة ومتبوعة، وكانت الطريقة تعمل عمل الجمعيات الخيرية الحديثة في السلم، وتعمل عمل الجيش الإسلامي في الحرب، وقد كانت الزوايا التي تتمركز فيها أصحاب الطرق تقوم مقام الملاجئ للفقراء والمحتاجين، وتقوم مقام المعاهد والمدارس لطلبة الثقافة من القرآن والحديث والفقه والأخلاق، وتقوم مقام المساجد يذكر فيه اسم الله كثيراً" (آدم عبد الله الإلوري، 1979، ص73).

الفرع الثاني: أهم الطرق الصوفية بالجزائر وعوامل انتشارها.

ظهر التصوف في العالم الإسلامي كمنحى فكري نظري بداية من القرن الثالث الهجري، وذلك في عاصمة الخلافة العباسية بغداد، على أيدي رجال شهد لهم بالعلم والفضل والصلاح، حيث أرسوا قواعد هذا التيار ورسموا له الأسس والمنهجية. وفي نهاية القرن الثالث الهجري بدأ الصوفية ينظمون أنفسهم طوائف وطرقاً يخضعون لنظم خاصة بكل طريقة، وكان قوام هذه الطرق طائفة من

المريدين يلتفون حول الشيخ المرابي لإرشادهم ليتحقق لهم كمال العلم والمعرفة. ثم انتقل بعد ذلك من ظاهرة أو مسألة فردية بين الإنسان وربه إلى ظاهرة اجتماعية كثر أتباعها ومريدوها بشكلها المتعارف اليوم أما بالنسبة للجزائر فقد بدأ التصوف نظرياً، وفي القرن العاشر الهجري اتجه إلى الناحية العملية الصرفة، وأصبح يطلق عليها تصوف الزوايا والطرق الصوفية (عبد المنعم القاسمي الحسني، 2013، ص 246 - 247) من هنا يمكننا القول أن ظهور الطرق الصوفية في الجزائر كالآتي:

أولاً- الطرق السائدة في الجزائر.

(1)- الطريقة القادرية: ظهرت هذه الطريقة في "الجزائر" على يد سيدي "أبو مدين شعيب" بن حسن الأندلسي (أبو القاسم سعد الله، ج 4، 2009، ص 64)، الذي أخذ الخرقه الصوفية عن الشيخ سيدي "عبد القادر الجيلاني" (خير الدين الزركلي، ج 4، 1980م، ص 47)، مؤسسها، عند لقائه به بجبل "عرفات" بين سنتي 556/5510 هـ (محمد الطاهر علاوة، 2011، ص 23)، ورجع بها إلى "الجزائر". ومنذ ذلك الزمن بدأت في الانتشار، وأصبح لها زوايا وأضرحة وقباب ومساجد في "الجزائر" و"تلمسان" و"قسنطينة" و"بجاية" وغيرها (أبو القاسم سعد الله، ج 4، 2009، ص 43).

"وتعد هذه الطريقة أقدم الطرق تأسيساً وظهوراً في الجزائر حيث وجدت أرضاً خصبة استطاعت أن تنمو فيها وتزدهر أثناء الحكم العثماني" (صلاح مؤيد العقبي، 2002، ص 143).

(2)- الطريقة الشاذلية: مؤسسها هو الشيخ سيدي "أبي الحسن الشاذلي (شهاب الدين بن فضل الله العمري، 2001، ص 341، ومحمد بن مخلوف، ج 1، 2010، ص 267) وانبثقت عنها العديد من الطرق الصوفية، منها: الجازولية، والزروقية، واليوسفية، والعيساوية، والبكائية، والكرزائية، والشيخية، والنَّاصرية، والطَّيِّبِيَّة، والزَّيَّانِيَّة، والحنصالية، والحبيبية، والمدنية، والرَّحْمَانِيَّة، والدَّرَقَاوِيَّة، والعلويَّة، والسُّنُوسِيَّة (أبو القاسم سعد الله، ج 4، 2009، ص 69).

(3)- الطريقة الرَّحْمَانِيَّة: "وتعتبر أشهر فرع من فروع الشاذلية بالجزائر، والتي أدت دوراً بارزاً في مواجهة الاحتلال الفرنسي، أسسها الشيخ سيدي "محمد بن عبد الرحمن الأزهري" (عبد الباقي مفتاح، 2004، ص 61 - 63، و عبد المنعم القاسمي الحسني، 2013، ص 304 - 324) سنة 1177هـ/1764م بقرينه "آيت إسماعيل"، والتي أدت دوراً كبيراً في نشر العلم والطريقة الرَّحْمَانِيَّة،

فكملت دروس وعظه بالنجاح مما جعل طلبة الزّوايا المجاورة يغادرونها لحضور دروسه فأصبحت قريته "آيت إسماعيل" قبلة لطلاب العلم، وغطت شهرته كل الأماكن حتى بلغ صيته الجزائر العاصمة وضواحيها، ثمّ بعد ذلك انتشر أتباعه ومريدوه في الصحراء التّل الشّرق الغرب، حتى أنّها صارت تنافس الطّريقة الطّيبية بالغرب الجزائري (عبد المنعم القاسمي الحسني، 2013، ص 317 - 344).

(4)- الطّريقة التّجانية: هي إحدى الطّرق الصّوفية السّنية الجزائرية الأصل والبناء، تنسب إلى مؤسسها الشّيخ سيدي "أحمد بن محمّد بن المختار بن سالم التّجاني الجزائري"، (علي بن العربي براء حراز، ج. 1، 2004، ص 34، وعبد الرّحمان طالب، 1999، ص 7 - 9) أعلن عن تأسيسها من بلدة "بوسمغون" التّابعة لولاية "الببيض" حالياً والتي تبعد عن مسقط رأسه؛ مدينة "عين ماضي" بحوالي 220 كلم، وقد كان هذا الإعلان سنة 1196هـ/1782م، ومنه انتشرت في كلّ ربوع البلاد العربية مثل "تونس والمغرب ومصر والشّام وفلسطين، وكذا القارة الإفريقية بالسودان والسّنغال والنيّجر ونيجيريا... إلخ، ومنهم إلى كلّ دول العالم" (عبد الباقي مفتاح، 2007، ص 212).

(5)- الطّريقة السّنوسية: هي طريقة صوفية إسلامية سنية، اعتمد مؤسسها سيدي محمّد علي السّنوسي (خير الدّين الرّزكلي، ج. 6، 1980، ص 299، و عادل نويهض، 1980م، ص 179 - 180)، النّهج الإصلاحية وسيلة ومرمى، توجد في "ليبيا" و"السّودان"، ومنهما إلى عدّة دول إفريقية أخرى، تأسست في "مكة المكرمة" سنة 1240هـ/1825م، وتأسست بليبيا سنة 1260هـ/1843م بمدينة "البضاء". وتميزت بالفاعلية والنّشاط فيما يتعلق بوسائلها وأهدافها، فزكت النفوس، وأزالت الجهل، وحاربت الظّلم، وحبيت العدل إلى النفوس، فخرّجت من القبائل التي انتشرت بها علماء عاملين واصلوا المسيرة في الدّعوة إلى الله وإصلاح النّفس البشريّة" (محمّد علي الصّلاي، 2001م، ص 40 - 82).

ثانياً- عوامل انتشار التصوف في الجزائر:

يمكننا أن نرجع عوامل وأسباب انتشار التصوف بالجزائر، إلى أسباب فكرية، وأخرى سياسية وثالثة اجتماعية.

1- أسباب فكرية:

وجود أعلام التصوف الذين عملوا على نشر الطرق بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم ويعلمهم وبمؤلفاتهم، من أمثال الشيخ أبي مدين الملياني والثعالبي، ويضاف إلى ذلك تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة (عبد المنعم القاسمي الحسني، 2013، ص 250).

2- أسباب سياسية:

سقوط الدولة الموحدية: والتي كانت دولة قوية واجهت الغزو الإسباني، ولكن لأسباب داخلية وخارجية تدهورت أوضاعها. سقوط الأندلس: نتيجة التدهور السياسي الذي أصابها عقب سقوط الدولة الأموية ونتج عن سقوط الأندلس أمران: الغزو الإسباني لمعظم سواحل المغرب الإسلامي، هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية.

3- أسباب اجتماعية:

"منها انتشار البذخ والترف عند طبقات معينة نتيجة الثراء الفاحش، وتراجع القيم الدينية الأخلاقية، أهل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف، وقاوموا هذه الاختلالات بكل السبل والطرق مما أدى إلى انتشار مسلكهم" (عبد المنعم القاسمي الحسني، 2013، ص 250 - 251).

الفرع الثالث: دور الصوفية الاجتماعي والديني.

أولاً- دور الصوفية الاجتماعي:

من المعلوم أن المواظبة على العبادة وتلاوة الأوراد وحضور حلقات الذكر وسيلة فعالة ومثلى في إيجاد وعي اجتماعي وغرس توجه ثقافي وترسيخ قناعات سياسية منطلقها الإسلام وهدفها المحافظة على قيمه، وهذا ما أوجد توازنا روحيا لدى العامة وقناعات ثقافية سمحت باندماج مناطق في الإطار السياسي والثقافي للجزائر العثمانية، لقد عوض نشاط الطرق ذلك الفراغ الذي عرفه السكان في حواضر المغرب الأوسط وبواديها بفعل الفوضى السياسية في أواخر العهد الحفصي والزباني، والتي زاد من حدثها الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية واستيلائه على حواضرها، فعوض شيوخ الزوايا والطرق

هذا الفراغ وحافظوا على الإسلام في حضور الجهل والظلمات، وتعميق روح الإسلام، في كثير من المناطق وخصوصاً منطقة القبائل (ناصر الدين سعيدوني، البصائر، ج2، 2001، ص140).

ومن بين هذه القيم نذكر ما يلي:

(1) - إصلاح ذات البين:

من سمات الولي تنزيل الفكر على أرض الواقع ليعايش مشاكل الناس فيجبر خواطهم ويراعي مشاعرهم، ويسعى إلى إقرار العدالة فهو تارة يقوم بدور المحكم والوسيط والمصلح بين الدولة والرعية، وتارة أخرى يتوسط بين الناس والقبائل لحل نزاعاتهم، بل إنه بفضل مبدأ العدالة التي يتبناها الصوفيّة نجحوا في إعادة ترتيب العلاقة المتصدعة بين الدول والقبائل، ونشر السلم الاجتماعي الأسري عن طريق إصلاح ذات البين بين الأزواج المتخاصمين، فأنقذوا عددا من الأسر من التشتت والضياع (مجموعة من المؤلفين، 2013، ص38).

"وبذلك كانت الزوايا وشيوخ الطرق بمثابة المحاكم الإسلامية، التي يلجأ إليها المتخاصمون أفرادا وقبائل فيصلحون بينهم، ويرضون جميعا بالأحكام الصادرة والمستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم" صلى الله عليه وسلم" (صلاح مؤيد العقبي، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، 2009م، ص291).

(2) - التكافل الاجتماعي:

إن من المعاني السامية للتصوف هي محبة الخير لكل لناس، لأنهم نشروا هذه القيم بأبعادها الروحية والعملية على حد سواء، فكان من أهم ميزات الطرق الصوفية هو التعامل مع الحاجات البشرية بمنطق التكافل والتعاون حتى التصقوا بمفهوم "الفقر" أو "الفقراء" وعرفوا به من كثرة حرصهم على الفقراء، وامتد ذلك من خلال فتاويهم المنشورة التي أصروا فيها إعطاء الصدقات لغير المسلمين، وما ذلك إلا لكونهم تفاعلوا مع الواقع وحرصوا على المعالجة الهادئة لكثير من الحاجات الإنسانية. وتمتعت الزاوية... بسلطة أخلاقية وروحية قوية، وتحولت بفعل طابعها القدسي إلى مكان مُحَرَّم معلوم لدى عامة الناس، وخصص شيخ الزاوية ضيافته لكل فئات المجتمع سوزاء أكانوا سُرقاً أو متمردين سياسيين أوفارين، بل وحتى الدّميّين الذين وجدوا في الزاوية ملجأ يوفّر الأمان. (عبد القادر سحراوي، الأولياء والتّصوّف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520 - 1830م، ص137)

فالتكافل إدراك عميق لمنفعة الناس والسعي الحثيث لتخفيف معاناتهم والأخذ بيد المستضعفين والتعساء منهم في أعمال البر والإحسان، فالصوفيّة لم يتركوا مجالا من مجالات الدعوة والإصلاح إلا واقترحوا بدائل للخروج من نفق الأزمة وفق سنة التدرج والبناء المرحلي، ولم يركن الصوفيّة إلى اعتزال الناس والانشغال بالعبادة، وإنما اندمجوا في محيطهم الاجتماعي وحَبَرُوا مشاكله (مجموعة من المؤلفين، 2013م، ص 42)، وذلك عن طريق جملة من مظاهر التَّكافل نذكر أهمها:

أ- الإطعام والإيواء

من أهم قيم الصوفية إطعام المعدمين وإيوائهم ودعم قيم التضامن والبذل والعطاء لذلك اعتمد المجتمع المغربي على شيوخ الطرق ورجال التصوف في مواجهة الأزمات المحدقة به. إلا أن الصوفية لم يكونوا على درجة واحدة من التواصل الاجتماعي، فهناك من قاموا بالتأطير الاجتماعي والديني وهناك من تصدى للتربية الخلقية والروحية، ومن ساهم في منجزات اجتماعية، ومنهم من اكتفى بإشعاعه العلمي وشغل فراغه في العبادة (مجموعة من المؤلفين، 2013م، ص 42). وفي منطقة القبائل حدت الزوايا من مظاهر البؤس الاجتماعي وساهمت بصفة أساسية في إبعاد شبح الجوع والتشرد عن سكان الريف مثل زاوية عبد الرحمن اليلولي وأحمد بن إدريس وابن علي الشريف، (شلاطة)، هذه الأخيرة كانت تتوفر على ست أرحية تشتغل باستمرار لتوفير الطعام للفقراء، ولمن يقصدها من الزائرين ولسد حاجات طلبتها (ناصر الدين سعيدوني، البصائر، ج2، 2001، ص154).

ب- العلاج

إن نقص المستشفيات جعلت الزوايا تقوم مقامها فتستقبل الحجاج والمسافرين والفقراء وتقدّم لهم بعض الإسعافات فرجال التصوف ساهموا في الطب والصيدلة من خلال تشخيص الداء وتبيان الدواء، ويتضح ذلك من خلال مؤلفات ابن حمادوش وأحمد البوني فقد ألف الأوّل قاموسا طبيا أسماه "كشف الرموز" والثاني "إعلام أهل القرية" وجمع محمد بن سليمان بين التصوف والطب ونظم رجزاً في الموازين والمكايل الطبية والشرعية (أبو القاسم سعد الله، ج. 2، 2009م، ص 420). ونقل عن سعيد المقرئ اهتمامه بالطب والتشريح، كما أن محمد بن أحمد الشريف صاحب كتاب

المناقب والتصوف، ألف في الطب النبوي كتاب المن والسلوى في تحقيق معنى حديث لا عدوى (أبو القاسم سعد الله، ج.2، 2009م، ص420 - 421).

ج)- المَوَاسِمُ الدِّينِيَّةُ وَأَبْعَادُهَا

ومن مظاهر المَوَاسِمُ نجد الختان الجماعي وإقامة الولائم وتنظيم حفلات لحفظة القرآن الكريم، وتنظيم ركب الحجيج، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف والزيارات الموسمية يقترب الزائرون خلال المَوَاسِمُ الدينية إلى أضرحة الأولياء وهو ما يساهم في تحقيق الانسجام والتوازن الاجتماعي خاصة في مواجهة الخلافات والنزاعات، وكونها ملجأً للهاربين من العقوبات أو المتابعة القضائية من الحكام، وبهذا الاعتبار صارت الزاوية أو الضريح مكاناً آمناً لا تنتهك حرمة والملجأ الذي لا يجزئ أي حاكم على التعدي عليه (ناصر الدين سعيدوني، البصائر، ج.2، 2001، ص154 - 155).

ثانياً- دور الزوايا في الحفاظ على الهوية الدينية

كانت الزوايا بتعاليمها القرآنية حصناً للشخصية الوطنية ومدرسة حافظت بقدر الإمكان على قيم الشعب الجزائري وأفكاره وأصالته، وقاومت الوجود الاستعماري بتعليمها العربي الإسلامي... وإن كان الاستعمار قد انتصر عسكرياً واستولى على الجزائر واحتل مدنها وقراها وانخرمت أمامه سياسياً، فإنها لم تهزم الجزائر روحياً لأنها حافظت على قلبها حياً قويا سليماً من المرض والبواء والوهن الذي يصيب القلب حيث ظل الشعب الجزائري متمسكاً بهويته بفضل الزوايا، فهناك فضل لبعض الزوايا البسيطة التي كانت متناثرة كالنجوم تضي قمر الجبال الشاهقات، فكانت تعمل في صمت وخفاء تعد الجليل القرآني داخل تلك القلاع المغلقة، حيث أبناء الجزائر يحفظون القرآن الكريم ويتعلمون دينهم ولغتهم وشريعتهم على شيوخ رباهم القرآن، ولولا القرآن ما بقيت اللغة العربية في الجزائر بعد احتلالها واستعمارها قرناً وأكثر من ثلاثين عاماً حوربت اللغة العربية وأغلقت مدارسها (صلاح مؤيد العقي، 2002، ص.298 - 299).

الفرع الرابع- الصِّراعات الواقعية والمسالك الروحية

أمام هذا الواقع المخيف يقف المهتم بالتصوف تائهاً حائرًا وقد تفرقت به السبل نحو طَوْقِ النِّجاة وسؤال صعب يطرح نفسه دائماً: كيف السبيل إلى الخلاص؟ وهل للتصوف دور وحلّ لهاته الأزمات؟

في خضم هذه الظروف يمكن مقارنة الإجابة بأن علم التصوّف له القدرة على تحديد نفسه في الزّمان والمكان كعلم ربّاني يحاول إصلاح ما أفسدته يد الإنسان بالأزمات التي صنعها بأنانيّته، وعلى الإنسان إذا أراد تغيير واقعه عليه أن يغيّر ما بنفسه من أهواء ذاتيّة ومصالح ظرفيّة قبل حرصه على تغيير الآخر بالقوّة والعنف.

وبناءً على هذا يمكن لهذا الدّفق الرّبّاني أن يستشرف من تعاليمه المسالك الموضوعيّة التي تسهم في التّلاقي مع الكراهية والعنف والتّلاقي مع المحبّة والإحسان وقبول الآخر وتشجيع الحوار المسؤول الذي يفرض القطيعة مع القيم التي قامت عليها الأُمّة الإسلاميّة" (مُحمّد العيد التّيجاني، 2016، ص5).

أولاً- حقيقة الصّراعات الواقعيّة

إنّ هذا التّكامل الصّوفي العلمي السّامي قد أثّر في مساره عبر التّاريخ إلى تحقيق نسق فكري روحي كان له الأثر الأكبر في ترسيخ الوسطيّة واقعاً معيشاً وقبول الآخر هدفاً نبيلاً ومحبّة النّاس لله وفي الله وبالله دَيَدَنَ الرّوح والقلب (مُحمّد العيد التّيجاني، 2016، ص3 - 4). ويتمثل جوهر الصّراع للفرد المعاصر فيما يلي:

(أ)- ثورة رقميّة في التّواصل البشري جعلت المعلومة تدخل بيوتنا بدون استئذان ولكنّها معلومة منْ يمتلك ناصبيّة القوّة والغلبة، ظاهرها قرية صغيرة تختصر الوقت في التّبليغ والإعلام وباطنها أفكار منْ لَهُ الغلبة في السّيطرة على العالم.

(ب)- سباق محموم وحرص على الكسب والثّراء والرّفاه وتنافس فطيع على الثّروة دون اعتبار لوازع الدّين والأخلاق.

(ج)- عنف مجنون وصراع ظلامي أهوج لا دين له ولا عقيدة لا يتوقّف عن قتل الأرواح البريّة وتدمير البنى التّحتيّة للمجتمع.

(د)- رِدَّةٌ فكريّة وعقائديّة على كلّ الموارث التي نشأت عليها الأُمّة الإسلاميّة على اختلاف مشاربها وتجاربها (مُحمّد العيد التّيجاني، 2016، ص3).

ثانياً- مسالك روحيّة

يأتي التَّصَوُّف في هذا السِّياق مَحْورًا مَهْمًا يبرز الكينونة الواقعيَّة للمجتمع بناءً على أبعادها الدِّينيَّة والتَّاريخيَّة واللِّسانيَّة، وإنَّنا لنعتقد من منظورنا أنَّ التَّصَوُّف السُّنِّيَّ أو ثقافة تَرْكِية النَّفس والإحسان هي الثَّقافة التي ينتظر منها الواقع الرَّاهن الكثير والكثير، لأنَّ الثَّقافة التي تُقْبَلُ الآخر وتتواصل معه وإنَّ اختلف معها في الدِّين والعقيدة والرَّأي؛ إذ ليس لها عدوٌّ مثل ما قال الإمام التَّماسيني (محمود ابن المظماطية، (مخطوط)، ص 3. ومحمد البشير التَّجاني، (مخطوط)، ص 3): "ليس لنا عدوٌّ إلا الشَّيْطان".

ثقافة تجنح إلى السَّلَم وإلى ما يحقِّق صلاح خُلُقِيَّ الله عند أهل الطَّرِيق والمسلمين وغيرهم ما دامت الخلائق تشترك في العبوديَّة لله والمجتمع الإنسانيِّ الواسع، ثقافة تجيب وتستجيب لمغيَّرات الزَّمان والمكان، ولما تستلزمه المجادلة من أفكار ومتطلَّبات جديدة كلِّ حينٍ بِناءٍ على مقولة سيدي أحمد التَّجاني رحمته الله: "بِسِرِّ زَمَانِكَ سِر".

إنَّ الهويَّة في التَّصَوُّف السُّنِّيَّ ستظلُّ ثابتة في خضمِّ المتغيَّرات المستجدَّة، مشرقة بالحبِّ، مستنيرة بالعلم، مزدانة بالبرِّ والإحسان وأنا لا أقول: إنَّ التَّصَوُّف هو الحل، ولكنَّه عنصر فعَّال وأساسي في بسط ركائز الحبِّ والبرِّ والإيثار والسَّلَم والعدل والمساواة بين النَّاس (مُحمَّد العيد التَّجاني، 2015، ص 2).

وذلك باتباع الخطوات الآتية:

- (أ) - معالجة العنف بتربية الوسائط التي تبحث عن مكان من الخير لدى البشر.
- (ب) - أن يعتقد الصوفي أنَّه في شراكة دائمة مع خُلُقِيَّ الله من حيث الأخوة التي تربطه مع آل الطَّرِيق أو المسلمين أو من حيث القواسم المشتركة التي تجمعهم بسائر البشريَّة في العبوديَّة لله والانتماء إلى المجتمع الإنسانيِّ الواسع.
- (ج) - علاج الصَّدَمات بتربية الحوار المسؤول مع مختلف العقائد والثَّقافات والأديان بحثًا عن الوسائل الممكنة التي تحقِّق الأمن والتمَّاء والسَّلَم والطَّمأنينة بين مختلف المجتمعات. (مُحمَّد العيد التَّجاني، 2016، ص 5).

(د) - تكريس جانب الحياء لقد اهتمَّ شيوخ وعلماء الصُّوفيَّة بالبحث الأخلاقي، وبنوا صرحاً عظيماً في علم الأخلاق، وكان مستندهم في ذلك الوحي الإلهي، وسيرة النَّبيِّ صلوات الله عليه والصَّحابة والتَّابعين ومن تبعهم من أهل العلم والصَّلاح، غير أنَّ هذا الاهتمام كان في سبل شتى، ومستويات مختلفة،

وذلك لاختلاف المناهج والمقاصد، والوسائل والغايات، التي تحتم بمنظومة القيم الأخلاقية، والتي من بينها خلق الحياء قرين الإيمان، وبناءً على هذا المقوم اهتم الصوفية باستشعار الحق تبارك وتعالى في العبادات، كالصلاة، فيطلبون من المريد المتلقي لتربيتهم قراءة آيات القرآن الكريم بحضور قلب وخشوع وتدبرٍ وذكر جنان لا ذكر لسان.

أما في السلوكات والأفعال مع مخلوقات الله قاطبة، فهم يُرثون المريد على أن المخلوقات آيات الله التي يجب أن تُعظم، فبتعظيمها يُعظم الله، ولهذا فإن كل العبادات والسلوكات والطاعات مقرونة عندهم باستحضار الحق، فالمتربي دائماً مع الله، فبهذا السلوك يصحُّ استخلافه لأن يقيم شرعه من خلال تطبيق تعاليمه واجتناب نواهيه، فعلمه بشرع الله يؤدي به إلى معرفة الله، ومعرفة الله تؤدي به إلى الحياء. (محمد بن علي بن الحسين الترمذي، شرح كتاب الأمثال من السنة والكتاب، 2007، ص40

(41 -

لذلك أمر "ابن قيم الجوزية بالتخصيص على اختصاص الإنسان بالحياء، فالحياء عنده خاصية إنسانية، يفقدها تُفقد الإنسانية، فمن لا حياء له ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدّم وصورتها الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء" (ابن قيم الجوزية، 2، 2011/788)

وبهذا يكون الحياء هو القيمة الخلقية التي بها توزن الحقيقة الإنسانية، ونتيجة هذا؛ أن الحياة الحقيقية هي حياة القلب، وأن الموت هو موت القلب، ولقد كان "طه عبد الرحمن" فطناً عند تنبّهه إلى هذه المسألة، واستفادته منها في تحليله الفلسفي المتميز لخلق الحياء. (طه عبد الرحمن،

2017، ص14.)

خامسا- آثار التجربة الصوفية عالميا

بفضل ازدهار الحركة التجارية توطدت التجربة الصوفية الجزائرية وتشعبت شبكة اتصالاتها التي ربطت بلاد السودان بالبحر الأبيض المتوسط عبر طرق واسعة وامتدت من الصحراء الكبرى إلى بحيرة "تشاد" و"تمبكتو"؛ فضلاً عن الأسطول الجزائري الضخم الذي كان يجوب البحار بين أوروبا وإفريقيا والهند، وكذا فتح المزيد من الثغور والرباطات التي أمنت السواحل وكرّست قواعد الحركة الزهدية المرابطية التي تولدت عنها سائر الطرق الصوفية، والتي خصصت فضاءات قدسية منقطعة

للتأمل والصَّلَاة القلبية عُرفت بالزَّوَايا، عادت إليها وظيفة الجهاد الأكبر أين لقنت تعاليم الشَّرْع الخفيف، كما تولت تدريب تلاميذها ومريديها على الاعتكاف والتَّبتُّل مع تقنيات مراقبة النَّفس وكبح أشباح الغريزة عبر الزَّهد والصَّمْت والانقطاع إلى حضرة الله وتلاوة اسمه العظيم الأعظم، والاستنكاف عن غيره تحقيقاً لمعادلة النفي والإثبات التي جاء بها الإسلام والمختزلة في شهادة "أن لا إله إلاَّ الله" أي لا موجود - تحقيقاً - إلاَّ الله تقدس اسمه (فهد سالم خليل الرَّاشد، 2011م، ص15) ومن الذين أثروا تأثيراً بالغاً نجد:

(1) - "محمَّد علي السُّنوسي" وأتباعه الذين اهتموا بوسط "إفريقيا" حيث نجدهم يسترقُّون الأطفال وهم صغار السِّن، فيعتنون بهم مأكلاً وملبساً وتعلماً وعند إتمامهم لدراساتهم وإكمالهم لتحصيل العلوم، يعتقدونهم لوجه الله ويطلقون سراحهم إلى أطراف بلدانهم يهدون أبناء جلدتهم الباقين عن الفيتشية (ديانة وثنية). فنتج عن ذلك دخول عدد كبير من أهالي تلك الأصقاع إلى الإسلام (أحمد صدقي الدَّجاني، 1967م، ص274)، ولقد ترك الشَّيخ "السُّنوسي" بعد وفاته شبكة عالمية من الزَّوايا ذات انضباط عالٍ منتشرة في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي، خاصة بوطنه الأم "الجزائر" وكذا "ليبيا"، و"تونس"، و"المغرب"، و"السُّودان الشَّرقي والغربي"، و"مصر"، و"الحجاز"، و"اليمن"، و"تركيا"، و"الهند (فهد سالم خليل الرَّاشد، 2011م، ص18).

(2) - الشَّيخ سيدي "أحمد التَّجاني" الذي تمتع بتأثير غير مباشر كبير جداً عالمياً في تكوين الإنسان قيمياً، وطريقته التَّجانية التي أسهمت في نشر الإسلام بربوع "إفريقيا الوسطى والغربية"، إلى "وادي النيل" وحتى حدود "الحبشة". تضم هذه الطَّريقة الجزائرية المولود والعالمية المشرب اليوم زوايا، ليس فقط في موطنها الأصلي "الجزائر" بل في القارات الأخرى. ففضلاً عن الزَّوايا التي أسست حديثاً من طرف الجاليات الإفريقية المقيمة في "أوروبا الغربية" و"أمريكا الشَّمالية"؛ فإنَّ "الطَّريقة التَّجانية" مُتجذرة تاريخياً في جنوب شرق "أوروبا" أين تُعدُّ من بين الإحدى عشرة طريقة صوفية التي نجحت واستمرت في نشاطها بصورة مُنظمة ومهيكلية بعد الحرب العالمية الأولى.

وبالرغم من الخراب الذي سببته الجيوش اليونانية والبلغارية في حقِّ مسلمي البلقان، إلاَّ أنَّها استطاعت امتصاص الصَّدمة والذهاب باتجاه التَّأثير في الإنسان وجعله فاعلاً وفعالاً من خلال حضورها الدَّائم في نشر الإسلام وتثبيت قيمه، بواسطة مريديها الذين يتركزون أساساً في "إقليم

كوسوفا" و"ألبانيا" أين استمر مقادير الطريقة في المحافظة على روابط متينة مع الزاوية الأم "بالجزائر" حتى الأربعينيات من القرن العشرين، حيث زار علامة "ألبانيا" الشيخ "إبراهيم رئيسي" الزاوية التجانية بالأقطار المغاربية سنة 1949م منها زاوية "قمار" (محمد الطاهر التلي، 2011م، ص74). كما يُسجل حضوراً تجانياً في الشرق الأوسط العربي وغير العربي خاصة في "مصر"، وفي "الشام"، وفي "فلسطين"، وفي "بلاد الأناضول" (عبد الباقي مفتاح، 2007، ص211) مثلته عدّة شخصيات علمية وجهادية مؤثرة من الشخصيات التجانية الوازنة، نجد: "محمد علي الدغر" بالشام، والشيخ "محمد الحافظ المصري" بمصر، والشيخ "عز الدين القسام" مقدم الطريقة التجانية "بحيفا" بفلسطين، (عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، ص 228) فانطلاقاً من جزيرة العرب، وصلت التجانية والتجانيون إلى "ماليزيا" و"إندونيسيا" إلى أن اقتحموا ربوع جنوب شرق "آسيا". تعدّ التجانية اليوم أحد أكثر الطرق علميّة، فبحسب بعض الإحصائيات غير الرسميّة، يُسجل لها حضور في أكثر من 140 دولة وتضم في صفوفها أكثر من 350 مليون منتسب عبر العالم (مقابلة مع: الخليفة العام للطريقة التجانية، الشيخ "سيدي علي بلعاري التجاني، 2016م، و فهد سالم خليل الرّاشد، 2011م، ص19).

3- أمّا الطريقة القادرية وتأثيرها عالمياً فلقد كان أحد وجوهه ونماذجه شخصية الأمير "عبد القادر" (خير الدين الزركلي، ج.4، 1980، ص46). الذي علّق الجهاد الأصغر ودفاعه عن وطنه بالسلّاح، وانتصب لمهمة جديدة، معلناً الجهاد الأكبر الذي مارسه في أمّ حواضر المشرق العربي مدينة "دمشق"، التي أدى عمله فيها في شكل حلقات لسلسلة أعمال يومية، حيث يبدأ الحلقة الأولى: مع مجموعة من تلاميذه الخواص فيحدثهم عن "الفتوحات المكية"، بعدئذ يقوم بجولة في ممتلكاته متفقدا أحوالها وأحوال عمالها، وبعد عودته بعد الظّهر كان يذهب إلى "الجامع الأموي" ويُجيب عن أسئلة النّاس وهم غالباً ما يكونون من الطّلاب أو من سكان المدينة، كما كان يملك صالوناً أديباً لإجراء الحوارات الأدبية والمناقشات العلمية. بهذا السّلوّك المؤثر أصبح عضواً في المجلس البلدي لمدينة "دمشق". كما أنه قام بعدّة أعمال خيرية من بينها تمويله للطريق الرّابط بين "دمشق" و"بيروت" (جريدة الحقائق، ع.30، 2007، ص14).

أما أهم أعماله الجليلة بعد جهاده المحتل الفرنسي هي تصديده للفتنة الطائفية التي اشتعلت نيرانها بين أبناء مدينة "دمشق" المسلمين والمسيحيين سنة 1860م (الأميرة بديعة الحسني الجزائري: 2002م، ص. 203 - 210. والأميرة بديعة الحسني الجزائري، 2000م، ص. 213.)، "رفع الأمير سلاحه بين اللاجئين الجزائريين وحى آلاف المسيحيين" (جريدة الحقائق، ع. 30، 2007، ص. 14).

"بهذا السلوك الإسلامي الروحي لرجل التصوف العالم العامل، أثر "الأمير عبد القادر الجزائري" في من حوله أو من رفاقه وصاحبه، أو من قرأ عن حياته بعد تصوفه، لأنه سيجده فيها جامعاً للإنسانية بعد محاولات تمزيقها بالاستناد إلى الحب الحقيقي الذي يسمو فوق كل الديانات" (جريدة الحقائق، ع. 30، 2007، ص. 14) - بحسب تعبيره -.

(4-) أما أحد أهم فروع الدرقاوية والسند الشاذلي المتمثلة في الطريقة العليوية التي أسسها الشيخ "أحمد بن مصطفى العلاوي" (أبو القاسم سعد الله، ج. 4، 2009، ص. 126). فلقد كان لها حضوراً وطنياً داخل "الجزائر"، كما تعدى ذلك لخارجها في عدة دول أصبحت لها بها زوايا منها: "بريطانيا"، و"هولندا"، و"فرنسا"، و"الحبشة"، و"الحجاز"، و"فلسطين"، و"سوريا"، و"المغرب الأقصى"، وانتسب إليها الكثير من المثقفين الأوروبيين من أمثال: "أوجين تايار" الذي كان مترجماً بمحكمة "تونس" ولكن الأكثر شهرة هو "جوستاف هنري جوسو" أو "عبد الكريم" في الإسلام والذي توفي سنة 1951م، كان فناً تشكلياً وكاتباً، كان من بين الرواد المتجربين لاعتناق الإسلام.

يتحدث "أوغستين برك" عن إسلام "عبد الكريم جوسو" فيقول: «إن إسلامه هو عبارة عن رد فعل الروح ضد الحضارة الاصطناعية». ويقول أيضاً: «أن هذا الإسلام الصوفي احتضن أوروبيين راغبين في نهضة إلى ما هو وراء الطبيعة، فهؤلاء لم يجدوا في بعض من العاطفية الكاثوليكية -وأقوالها أمام إخواني المسيحيين- غذاء روحياً حقيقياً. بالإضافة إلى ذلك أن المسيحية التي تقدم نفسها كرسالة حب وبر، لقد كانت تستمد نفوذها من الاستعمار».

والمسؤول الأول في مسجد "باريس" السيد دليل أبو بكر كتب أخيراً يقول: «أن عدد المعتنقين للإسلام الذين سُجِّلوا استجابوا لنداء التصوف وبفضل العمل الذي تقوم به زاوية مستغانم» (ينظر الموقع: qt Ala laawiaLybya/ posts/244261425704866) هذا التطور في التأثير الصوفي بالنسبة للطريقة العليوية، بدأ في حياة الشيخ "العلاوي" ولكنه استمر بعد ذلك في حياة خليفته

تونس" (ينظر

بن

"عدة

الشيخ

الموقع:- [http://alalawi.1934.free.fr/index.php/lahiquun/125-a-\(bentounes.html](http://alalawi.1934.free.fr/index.php/lahiquun/125-a-(bentounes.html)

إنّ هذه الأسطر القليلة التي لامسنا من خلالها حضور التجربة الصوفية الجزائرية عالمياً تكفي لتبرز لنا مدى نفوذ التصوف الجزائري في العالم بأسره.

الخاتمة:

إن سياق نشأة الطرق الصوفية وانتشارها لازالت حاضرة إلى اليوم، فقد كانت في حال نشأتها ملاذا للإنسان ولكثير من حاجاته الروحية والفكرية، كما كانت لها مساهمات واضحة في تاريخ الأمة الإسلامية العلمي والديني والسياسي والاجتماعي، ما يجعلنا ننظر إليها كجزء لا يتجزأ من الحل المنشود لكثير من معضلات نخوض الأمة الإسلامية من جديد وكذا الحفر في الإجابات الشاملة التي تعني الإنسانية في زمن الإنسان الواحد، وفي وقت يراود هذا الإنسان روحيا عبر التيارات المادية الموغلة.

هذا وكانت أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

- (1)- التصوف الإسلامي أصيل، رغم تأخر التسمية وهذا حال بقية العلوم الإسلامية.
- (2)- أدى مشايخ الطُرق الصُوفيّة في الجزائر دورًا بالغ الأهميّة، وتعتبر الجزائر معقل الصُوفيّة بلا منازع، لذلك تحتل مكانًا مهمًا.
- (3)- أوضحت الدّراسة أنّ التّجربة الصّوفيّة عند مشايخ الطرق في الجزائر تجربة سُنّية ملتزمة بضوابط الدّين الخفيف، وذلك من خلال تحديدهم للمسار الدّقيق للتصوف الإسلامي، ورسم معالم الرّؤية الرّوحيّة المتزنة، وإعلاء كلمة الحق.
- (4)- التصوف الروحي النقي بإمكانه اقتراح حل كفيل لإخراج الأمة من الأزمة الواقعة وخلاصها من الهلاك.

- (5)- لقد اهتمَّ الصُّوفِيَّةُ بِإِصْلَاحِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الْإِشْرَاقَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعَطَاءَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ بِصِلَاحِهَا يَصْلُحُ كُلُّ عَمَلٍ وَبَحْثُهَا يَحْبِثُ كُلَّ عَمَلٍ، فَكَامَ مُعَوِّظُهُمْ دَائِمًا إِصْلَاحُ الْقَلْبِ، مِنْ خِلَالِ إِدْرَاكِهِ لِفَهْمِ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ، بِنَاءٍ عَلَى الْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ.
- (6)-لقد حازت التَّجَرِبَةُ الصُّوفِيَّةُ عَلَى أَدَاةٍ لِلتَّخَاطُبِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ الْغَيْرِ، وَاسْتَطَاعَ التَّصَوُّفُ الْجَزَائِرِيُّ فَتَحَ الْعَالَمَ وَالِاتِّقَاءَ مَعَ الْآخَرِ مَهْمَا كَانَ جِنْسُهُ وَلَوْنُهُ وَثِقَافَتُهُ، لَا بِالْقُوَّةِ وَلَكِنْ بِالْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ وَالتَّسَامُحِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ أَدَاءِ شِيُوخِ التَّصَوُّفِ الْجَزَائِرِيِّينَ لِدَوْرِ الْمَرْجِعِيَّةِ الَّتِي يُمْكِنُ الْاسْتِنَادُ إِلَيْهَا فِي أَوْقَاتِ الْحَرْجِ وَالضِّيقِ، وَهَذَا مَا وَجَدَتْهُ الشُّعُوبُ الْإِفْرِيْقِيَّةُ وَالْآسِيَوِيَّةُ وَحَتَّى الْأُورُوبِيَّةُ غَيْرَ الْمُتَعَالِيَّةِ فِي صُوفِيَّةِ "الْجَزَائِرِ"، لِأَنَّ حُضُورَ الْجَزَائِرِ الرُّوحِيَّ تَعْدَى حُدُودَ الْجَزَائِرِ وَتَعْدَى الْحُدُودَ الْمَغَارِبِيَّةَ، بَلْ أَصْبَحَ حُضُورًا عَالَمِيًّا فِي نَسَقِ حَضَارِيٍّ، مِثْلَتَهُ تَجَرِبَتُهَا الصُّوفِيَّةُ الْمُتَفَرِّدَةُ مِنْ نَوْعِهَا مُسْلِكِيَّةٌ وَتَأَثِيرٌ؛ فَأَيْنَمَا حَلَّتْ بِبِلَادِ الْعَالَمِ إِلَّا وَوَجَدَتْ زَاوِيَةَ صُوفِيَّةٍ يُلْهَجُ ثَغَرُهَا بِفَضْلِ مَشَايِخِ "الْجَزَائِرِ".

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

❖ المخطوطات:

1. الصَّدَاقُ التَّجَانِي: الْعَرَفُ الرَّيَاحِينِي فِي تَرْجُمَةِ سَيِّدِي الْحَاجِ عَلِيِّ التَّمَّاسِينِي، (مخطوط).
2. مُحَمَّدُ الْبَشِيرُ التَّجَانِي: تَرْجُمَةُ الشَّيْخِ سَيِّدِي الْحَاجِ عَلِيِّ التَّمَّاسِينِي، (مخطوط).
3. مُحَمَّدُ ابْنِ الْمَطْمَاطِيَّة: غَرَائِبُ الْبَرَاهِينِ فِي مَنَاقِبِ صَاحِبِ تَمَّاسِين، (مخطوط).

❖ المطبوعة:

1. عَبْدُ الْكَرِيمِ الْقَشِيرِي، (2011م)، الرسالة، بيروت، دار الكتب العلمية.
2. عَلِيُّ بْنُ الْعَرَبِيِّ بَرَادُ حَرَّازِم، (2004م)، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التَّجَانِي، ج.1، بيروت، المكتبة العصرية.

3. الكلاباذي، (د. ت. ن)، التعرف لمذهب أهل التصوف، تص: آرثر جون آريبي القاهرة، مكتبة الخانجي.

4. محمد الطاهر التليلي، (2011م)، إتحاف القارئ، تح: سعد الله أبو القاسم، طبعة خاصة، الجزائر، دار المعرفة.

ثانياً- المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، (2009م)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ج. 4، الجزائر، دار البصائر

2. أحمد صدقي الدّجاني، (1967م)، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر.

3. آدم عبد الله الإلوري، (1979م)، توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب أفريقيا، القاهرة، مطبعة الأمانة.

4. الأميرة بديعة الحسني الجزائري، (2000م) فكر الأمير عبد القادر حقائق ووثائق، دمشق، دار الفكر.

5. الأميرة بديعة الحسني الجزائري، (2002م)، وما بدّلوا تبديلاً، دمشق، دار الفكر.

6. جمال الدين بن منظور، (2001م)، لسان العرب، مج 10، بيروت، دار صادر

7. خير الدين الزركلي، (1980م) الأعلام، ج. 4، ج. 6، بيروت، دار العلم للملايين.

8. خير الدين الزركلي، (1980م) الأعلام، ج. 4، ج. 6، بيروت، دار العلم للملايين.

9. زروق الفاسي، (2005م)، قواعد التصوف، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية.

10. شهاب الدين بن فضل الله العمري، (2001م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: بسام محمد بارود، ج. 8، أبوظبي، المجمع الثقافي.

11. صلاح مؤيد العقي، (2002م)، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطاتها، بيروت، دار البراق.

12. صلاح مؤيد العقبي، (2009م)، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، الجزائر، دار البصائر.
13. طه عبد الرحمن، (2017م) دين الحياء، من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، ج.1، ط.1، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت.
14. عادل نويهض، (1980م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
15. عبد الباقي مفتاح، (2004م)، أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، الوادي، الجزائر، مطبعة الوليد.
16. عبد الباقي مفتاح، (2007م)، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، الوادي، الجزائر، مطبعة الوليد.
17. عبد الرحمن طالب، (1999م)، الشيخ سيدي أحمد التيجاني ومنهجيته في التفسير، والفتوى والتربية، الجزائر، مطبعة الجاحظية.
18. عبد المنعم القاسمي الحسني، (2013م)، الطريقة الرحمانية الأصول والآثار، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، الجزائر، دار الخليل القاسمي.
19. فهد سالم خليل الراشد، (2011م)، الرباط والمرابطية، تق: زعيم خنشلاوي، الجزائر، دار الجائزة للنشر والطباعة والتوزيع.
20. مجموعة من المؤلفين، (2013م)، التصوف في بلاد المغرب، الدار البيضاء، منشورات الزمن، الدار البيضاء.
21. محمد الطاهر علاوة، (2011م)، العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني، الجزائر، دار الأمة.
22. محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، (2011م). مفتاح دار السعادة، كتاب في العلم وفضله وبيان عموم الحاجة إليه، تح: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، ج.1، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة.
23. محمد بن علي بن الحسين الترمذي (الحكيم الترمذي): (2007م)، شرح كتاب الأمثال من السنة والكتاب، إ.ع: علي أحمد عبد العال الطهطاوي، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت.

24. محمد بن مخلوف، (2021م)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، بيروت دار الكتب العلمية.

25. محمد علي الصلابي، (2001م)، الثمار الزكية للحركة السنوسية بليبيا، ج.1، الشارقة، مكتبة الصحابة.

26. ناصر الدين سعيدوني، (2001م)، في الهوية والانتماء الحضاري، ج.2، الجزائر، دار البصائر.

27. عبد القادر صحراوي، (2016م)، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520 - 1830م، ط.1، دار هومو للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

ثالثاً-المداخلات والمقالات والمقابلات والمواقع الإلكترونية:

1. ملف العدد: «الأمير هو المؤسس للحوار الإسلامي المسيحي»، جريدة الحقائق، ع.30، السنة الأولى، من 02 إلى 08 جوان، الجزائر، 2007م،

2. مقابلة مع: الخليفة العام للطريقة التجانية، الشيخ "سيدي علي بلعراي التجاني: أجريت بالزاوية التجانية بعين ماضي، بتاريخ: يوم الثلاثاء 29 مارس 2016م.

3. الطريقة العلاوية الدرقاوية الشاذلية في ليبيا: مقالات عن الشيخ العلوي. <https://Altry qt Ala laawiaLybya/posts/244261425704866>

4. <http://alalawi.1934.free.fr/index.php/lahiqun/125-a-bentounes.html>

5. محمد العيد التجاني، (30، 29 مارس 2015). مداخلة، الملتقى الوطني الأول، الموسم بـ "الهوية الصوفية وواقعها المعاصر"، المنظم من طرف جمعية التراث للتواصل الثقافية، الجمع الثقافي للزاوية التجانية بحاسي خليفة، الوادي، الجزائر.

6. محمد العيد التجاني، (29 سبتمبر 2016م) مداخلة بعنوان "بِسْمِ زَمَانِكَ سِرْ"، ألقاها في الندوة العلمية المنعقدة في، جامعة الزيتونة، حول الزيتونة والتصوف، تونس.